آخر سوى ما قالهُ الشاعر

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

وهذا ما حملنا على عدم الانتباه لها . بل قادنا الى مقابلة مَن وماً اليها رمزًا او الغازًا بالطعن والتبكيت كأنهُ اتى كفرًا فاستحق زجرًا او رجمًا . ومعاذ الله ان يكون قصدنا حض ابناء لغتنا على النظر اليها بعين السخط استقصاء لمساويها . على انهُ بين عين الرضا العامية عن العيب وعين السخط الكشافة للمساوي عين اخرى هي بين بين تدعوها عين الانتقاد وبها يقوم الذوق السليم كما تقدَّم . وهي التي تعصمنا من التقتير والتبذير وتكفينا شرّ الغلوّ الذي هو آفة العلم . فقد قيل " ما تجاوز حدهُ قابل ضدهُ . وخير الامور اوسطها " وسنأتي على تفصيل ذلك في فصل آخر

داران للعلم بباريس

لجناب مرقص افندي حنا

الدار الاولى مدرسة العلوم السياسيَّة

المدرسة التي طبقَ صيتها الاقطار حتَّى جمعت بين الطلَّاب من كل شعب وملَّة وامتازت على باقي المدارس في انها جمعت علومًا لم تزل غير ملتفت اليها او منشئة في مدارس مختلفة

انشئت على عهد الامبراطور نابوليون الثالث بهمة جماعة من العلماء ارادوا بها تأهيل الشبان للادارة والسياسة والرئاسة من صغر سنهم لتستفيد البلاد منهم وتحمى من الاضرار التي لابدَّ عن حصولها اذا كان ولي الادارة قليل الخبرة عند دخولهِ فيها فانهُ ولو كان ذا ذكاء ونجابة يبلى الوطن بهفواتهِ قبل ان تحنكهُ التجربة ويدربهُ الاختبار

وتنقسم هذه المدرسة الى خمسة اقسام : القسم العام وقسم السفراء والقناصل والقسم المالي وقسم المستعمرات والقسم الاداري . فهي تعدُّ الشبان للادارة والسياسة والرئاسة . ومدة الدراسة فيها سنتان وفي آخر السنة الاولى يختبر التلميذ في المواد التي يختبها من الدروس المختصة بقسمهِ ويمتحن في السنة الثانية كتابةً وشفاهًا في المواد الباقية من القسم ويكون الامتحان في شهر يونيو من كل سنة . هذا خلا تحضير موضوع وتقسيمهِ بهيئة لم يسبق لها مثيل ولم يتكلَّم عنها الاستاذ وخلا بسط موضوع آخر في مدة ساعتين تحت نظر الاستاذ او التكلم عليهِ شفاهًا مدة ١٠ دقائق وهذا الموضوع يحدد بالانتزاع

وفي المدرسة مكتبة كبيرة تحتوي على اشهر كتب الادارة والسياسة ولقد سرني ان وجدت فيها كتاب الرقيب لمؤلفه احمد بك شفيق من رجال المعيَّة السنيَّة . وفيها جميع الجرائد المهمة فرنسويَّة وغير فرنسويَّة

و يطبَّق تعليم الاساتذة على العمل بان يُهيأ كل اسبوع هيئة بارلمان وينتخب التلامذة بعضًا منهم وزراء و يرئس الاستاذ الجلسة ثم تدور المناقشة كما في مجلس النواب او في مجلس السناتو

اما اساتذة المدرسة فمن الوزراء الحاليين او السابقين ومن النواب او اعضاء مجلس السناتو ومن مديري الجرائد المهمة واعضاء المجمع العلمي الفرنسوي اونحوه من المجامع والنوادي العلميَّة التي لاريب في ان اعضاءها ملوك العلم وسلاطين عقول العالم وفي معاشرتهم فوائد جلَّى . فضلاً عن الفائدة العلميَّة التي تكتسب من تدريسهم ترى الطالب يقتبس من مجالستهم ومحادثتهم ما لا يمكن تقديرهُ . على ان ذلك يطلق على جميع المدارس العليا في اوربا حيث الاساتذة من اول طبقة من الناس ولهم اعتبار زائد وقدر كبير ورواتب عظيمة كرواتب القضاة وهم غير قابلين للعزل مثلهم حتَّى يكونوا آمنين على مناصبهم ومستقبلهم مهما تقلَّبت السياسة ومهما كانت آراء الحكومة فيتيسر للاستاذ ان يدرّس بحريَّة و يبدي آراءهُ بدون محاباة لهيئة الحكومة ملكيَّة كانت او جمهوريَّة استبداديَّة او دستوريَّة و بدون مراعاة للوزارة الحالية

و بالجملة فان تعليم تلك المدرسة هو ختام لا بدَّ منهُ واتمام لاغناء عنهُ لكل من اتخذ حرفة عقليَّة . ولائحة دروسها تشمل علومًا متممة للعلوم القانونيَّة توصلاً الى التملك على الافكار العالية والتمدن الحقيقي . كل ذلك ما حمل جلالة السلطان الاعظم على استدعاء ثلاثة من الاساتذة الفرنسويين لتأسيس مدرسة للعلوم السياسيَّة بالاستانة كمدرسة باريس حتَّى يصير عند الدولة العليَّة رجال جديرون بالمناصب العالية التي يتوقف عليها ثروة البلاد وهناء العباد

واعيد هنا ما قلتهُ في احدى رسائلي التي ارسلتها الى نظارة المعارف وانا في باريس عن لساني ولسان اقراني : أنَّا نتمنى ان لا تحرم مصرنا بعد من تعليم علم الادارة

الدار الثانية جمعيات طلبة العلم

في كل مدينة ذات مدارس عالية في فرنسا وانكلترا والمانيا جمعيات لطلبة العلم وهي حديثة النشأة واصل نشأتها صغير غالبًا فان عددًا من طلبة العلم يجتمعون في مكان صغير للبحث في ما يتعلَّق بالعلوم التي يتعلمونها و يسنّون قانونًا يجرون عليهِ فلا يمضي عليهم زمن

طويل حتّى يذيع اسم جمعيتهم وترد اليها الهبات الكثيرة من محبي المعارف من نقود وكتب وجرائد ويزيد اعضاؤها والاموال التي يدفعونها فيتسع نطاق الجمعيّة وتزيد ثروتها وتبنى لها المباني الفخيمة ويوضع فيها الاثاث الفاخر

وفائدة هذه الجمعيات تفوق الوصف فانها ضمان الاتحاد بين تلامذة المدارس العالية. وبدونها يجهل تلامذة مدرسة الحقوق مثلاً تلامذة مدرسة الطب وهؤلاء تلامذة المدارس الاخرى ولم يكن بين التلامذة والاساتذة اقل علاقة ولم يكن التلميذ يرى استاذهُ الاّ وقت الدرس والامتحان. فكان يترتب على ذلك احتقار كل مدرسة للمدارس الاخرى وطلاّب كلّ فرع من العلوم لطلاّب الفروع الاخرى وبالتالي انفصام الوحدة وتمزّق القوّة. اما الآن وقد أُنشئت تلك الجمعيات فعلاقات الاساتذة بالتلامذة متصلة دائمًا وإذا اتمّ التلامذة دروسهم وخرجوا من المدرسة بقوا اعضاء شرف فيها كالاساتذة. وترى الاساتذة يحبون التلامذة محبة الاب لبنيهِ والتلامذة يحترمون الاساتذة احترام الابن لابيهِ. هذا عدا الاتحاد الشديد بين تلامذة المدارس على اختلاف انواعها لانهم يجتمعون في مكان واحد مرارًا كثيرة ويقضون الوقت في المذاكرة والمطالعة وقراءة الجرائد والمجلات العلميّة

ولكل جمعيّة اطباء مخصوصون يزورون المرضى من اعضائها واموال تنفق على المعوزين منهم والجمعيّة الواحدة اقسام بحسب اختلاف اعضائها في مباحثهم فلتلامذة مدرسة الحقوق وقت يتباحثون فيهِ في المسائل القانونيّة والاجتماعيّة وكذلك تلامذة مدرسة الطب وعلوم الادب وبقيّة المدارس الاخرى فان لكل فريق منهم وقتًا يتمرنون فيهِ في علومهم الخاصة. وهناك اقسام للتمرّن على ركوب الخيل والالعاب اليدويّة وما اشبه ولكل قسم موظفون مخصوصون يعينون بالانتخاب وجميعهم تحت ادارة رئيس الجمعيّة العامل وهو يعيّن بالانتخاب ايضًا. اما رئيس الشرف فهو ناظر المعارف العموميّة بباريس والمدير العلمي او السياسي في المديريات. والعلماء يلقون خطبًا علميّة كل اسبوع او اسبوعين او اكثر ترتّبها المدينة كلها وتباحث فيها المجامع العلميّة وتنشرها الجرائد ويتداول فيها ارباب العلم

وهذه الجمعيات تؤلف من التلامذة هيئة مخصوصة ذات رؤساء واعضاؤهم شعار خصوصي وجرائد علميّة وهذه الهيئة تدافع عن حقوقهم وتحل محلهم في المحافل الكبيرة والاجتماعات الوطنيّة والاحتفالات العلميّة والمواصلة بين المدارس الاخرى وطنيّة كانت او اجنبيّة فهي وطن لجميع المشتغلين بالعلم وما احسن ما قالهُ احد فصحاء باريس في خطبة لتلامذة المدارس وهو "عليكم بحب العلم فانهُ اعظم نصير للصداقة ولهُ رسل وشهداء كالديانات وهو المؤدي

الى معرفة الواجبات والقيام بها ومن مزاياهُ انهُ يجعل المشتغلين بتقدم الفنون وتوطيد الامن كانهم ابناء وطن واحد و بلد واحد "

وتاريخ هذه الجمعيات يشهد بفوائدها فقد جعلت الشبان المتعلمين مكرّمين في عيون الاهالي بعد ان كانوا محتقرين لصغر سنهم بناء على ان الطيش والتقلب من لوازم صغر السن . وهي السبب في انتظام التعليم العالي وفي تنظيم المدارس وتخليصها ممّن لا يليق بها من الاساتذة غير الاكفاء ومن القوانين التي لم يبقَ لها محل او فائدة والعوائد التي ينتج عنها ضرر وما اشبه وهي السبب في تعزيز شأن العلم وتحقير امر الجهل وفي رفع شأن العلماء ولو كانوا احداثًا بل هي السبب في تمدن البلاد

اقول ذلك وشاهدي عليهِ تلك الامّة التي صارت الآن في مقدّمة الامم الاوربيّة بقوتها العلميّة والاديّة والعسكريّة ولها السطوة الاولى وهي الامة الالمانيّة التي يحق لكل متعلم ان يقول ان عظمتها قامت بجمعيات شبانها . وكل التقلبات التي حدثت في اوربا في هذا العصر وعادت عليها بزيادة العمران والارتقاء كان للشبان وجمعياتهم اليد الطولى فيها

واذا نظر الينا الكهول بعين الازدراء لاننا اصغر منهم سنًا واقل اختبارًا قلنا لهم هاكم فرنسا والمانيا فانهما ارتقتا بهم شبانها وانتم اذا اردتم ان تجاري بلادكم هاتين المملكتين العظيمتين فعليكم ان تفتحوا صدوركم لشبانكم وتعتمدوا عليهم في اعمالكم . ولا انكر ان كثيرين من شبابنا ليسوا على ما يرام من حسن التربية والاستعداد لتولي المهام ولكن بذل الهمة في تربيتهم وتدريبهم للاعمال خير من غض الطرف عنهم ووضعهم في زوايا النسيان

اما ما يجب على الشبان من هذا القبيل فاعظم ما يجب على الكهول فقد قيل ما حك جلدك غير ظفرك فهم المطالبون بتربية انفسهم وانهاض همتهم والسعي في ترقية وطنهم . فاذا اجتمعنا وتعاضدنا على ما به خير وطننا جعلناهُ شامة في وجنة المشرق وكنا فيهِ اقمارًا يسطع نورها في الخافقين . وعسى ان تساعدنا نظارة المعارف الجليلة على تأليف جمعية تجمع شملنا وتقوي عزائمنا ونحن واثقون ان سمو خديوينا المعظم الذي تفضّل ولقّب نفسهُ في منشور بعثهُ في العام الماضي الى تلامذة الارسالية المصريّة " بحامي شبان مصر المجدين " هو اول ناصر لشبان بلادهِ وساعٍ في رفع شأنهم